

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالبقاء، الغني عن الشركاء، أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً؛ فأعجز به أهل الفصاحة من العرب العرياء، وتحداهم بسوره وآياته؛ فسلم لعظمته جهابذتهم من الخطباء والبلغاء جعل العلم فضيلة وأثر به أهل خشيته وسماهم العلماء والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، ونوراً للمهتدين، سيد الأولين والآخرين وخاتم المرسلين والأنبياء، أفصح من تكلم؛ وأخلص من علم، وأبين من نطق وأفهم، المؤيد بخبر السماء، القائل إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

وبعد: فليس شيء أعظم في نعم الله على عبده بعد الهدى للإيمان، من أن يهديه لطلب العلم، ثم الإخلاص في الطلب، ويؤتية الرغبة فيه والصبر عليه. وما طلب العلم إلا باب من أبواب الجهاد، وسبيل من سبل الفلاح في الدارين، نسأله التوفيق إلى الإخلاص في ذلك.

وعلم البلاغة من أجل العلوم التي تضرب لها أكباد الإبل، وينقب عنها في البلاد، فهي وثيقة الصلة بإعجاز الكتاب الكريم، بل هي أظهر وجوه إعجازه، وإنما يشرف العلم بشرف ما يبحث فيه، فكان لعلم البلاغة فضيلة وشرف، ومزية حازه لعنايته بأسرار الكلام الكريم، وخصائص التعبير في الذكر الحكيم. ولقد خلف لنا سلف هذه الأمة إرثاً عظيماً ومنهجاً قوياً في تحليل الآيات القرآنية، وقراءة النصوص، وفتحوا أبواباً من المعرفة في ميدان الدراسة البيانية، ولا مغالاة في القول بأنه ليس في تراث الأمم الأخرى ما يضاهي ما سطره أولئك الأفاضل من علمائنا في هذا الجانب. فهو مورد عذب

لكل راغب في معرفة أسرار هذا اللسان، ومراتب الكلام فيه، إذ إن علم البيان منهل لكل فن آتته العربية.

ثم إن مما شاء الله أن أعنى في الطلب بعلم البلاغة، ولعل ذلك عائد إلى ما خص به هذا العلم من المتعة والفائدة، مع ما فيه من صلة بدستورنا العظيم، وكتابنا الكريم، فترى البحث في هذا المضمار يجمع محاسن شتى. ثم قد وفق الله إلى أن يكون الموضوع الذي اخترته لهذه الرسالة هو: (المخالفة في استعمال الأفعال ومواضعها في القرآن الكريم). بعد مداورة ومشاورة مع شيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى أمد الله في عمره ونفع به. وأزعم أن هذا الموضوع من أجل الموضوعات، وأجزؤها منفعة. ويرجع اختياري له إلى ذلك وإلى أسباب أخر أظهرها ما يلي:

الأول: أنه بحث في بلاغة القرآن الكريم، وحسبي الاشتغال بكلام المولى القدير، وبكتابه الكريم.

الثاني: أن البحث البلاغي في عصرنا الحالي يحتاج إلى تصحيح وأصل وعودة به إلى منابعه الأولى ومصادره الثرية، في عصر تكاثرت فيه الدعوات إلى مناهج لا تتفق وسمو الأسلوب العربي، ومكانة العربية في الإسلام.

الثالث: أن دراسة وتحليل الشعر العربي بله الأدب العربي عامة وأساليبه لا غنى بها عن العودة إلى تحليل المفسرين والبيانيين وتدقيقهم في تمييز أشكال التركيب المختلفة في أسلوب القرآن الكريم، وأحسب أنه ليس من طريقة توازي أو تداني طريقة أولئك العلماء في تفسير الآيات وتأمل العبارة القرآنية. الرابع: أن هذا البحث يجمع فنون شتى من علوم البلاغة، فهو لا يقف عند واحد منها وإن كان الأصل فيه أنه بحث في علم المعاني.

الخامس: أن جوانبه المختلفة موزعة بين فنون البلاغة ولا يجمعها باب واحد، فإن المخالفة وإن ذكرها البلاغيون في معرض حديثهم عن مقتضى الظاهر إلا أن لها أطرافاً في مواضع عديدة من علوم البلاغة

السادس: كثرة ورود هذا الأسلوب - أعني المخالفة - في الكتاب الكريم، إذ اتضح لي بعد عند مراجعتي لبعض سور القرآن، ومراجعتي لبعض كتب التفسير شيوع هذا الأسلوب في الآيات، وبتأمل بعضها رأيتها غنية بالأسرار البلاغية والنكات. وقد كثر مجيئه على وجه الخصوص فيما يتصل بالوعد والوعيد واليوم الآخر، وفي مواطن الترغيب والترهيب، وقدرته على اختزال العبارة وتكثير المعاني.

السابع: أن كثيراً من الآيات القرآنية التي يعدها الدارسون من المشكل ترجع إلى المخالفة في استعمال اللفظ، والمخالفة في استعمال الفعل تشغل حيزاً واضحاً ومهما منها.

الثامن: أن هذا الموضوع في مباحث البيان بين ودواوين أهل العلم نال حظاً من المناقشات اللطيفة، والمساجلات المفيدة التي تثري البحث البلاغي وتشجذ ملكة البحث والتأمل لدى طالب العلم.

التاسع: الصلة الوثيقة بين جوانب كثيرة من هذا البحث وبين الدرس النحوي مما يجعل البحث يقارب بين مسارات فنون العلم المختلفة، ويجتني ثمار تلك البحوث والآراء، فلعل شيئاً من الجدة يظهر في هذه التضاعيف.

وقد استعنت الله على البحث، وجمع أطراف الموضوع، فقد كانت مبنوثة في المباحث المختلفة في مظان هذا العلم، وكان حديث البلاغيين عنها يتقلب في الأبواب المتباينة، ولذلك فقد اجتهدت في استقصاء ما أمكن من مصادر، وحصر المادة العلمية وتصنيفها، وقاربت أطرافها، وقرنت بين النظائر منها، ثم جعلت البحث في قسمين:

القسم الأول نظري والقسم الثاني تطبيقي. حيث اكتمل بين يدي جانب نظري بما فيه من مناقشات ومدارسات بين أهل العلم على صفة تشكل إطارا يعتمد عليه في الجانب التطبيقي من البحث، فإن كثيرا من القضايا التي ناقشها البحث تطبيقيا كان معتمده ما أصل في القسم النظري، وما حرر من مسائل، حيث ظ هر هذا القسم ثريا بتلك المناقشات حول المخالفة في استعمال الفعل، جامعا لشتات تلك المسائل، مقاربا بين أقوال أهل العلم.

والقسم الثاني جعلته لمواطن هذا الموضوع في الكتاب الكريم، وما حررته أقلام المفسرين وعلماء البيان حول الآيات الكريمة إذ كان للمفسرين أيضا وقفات تحتاج إلى تتبع، مما جعل الدراسة تتوسع في تحليل عددا ليس بالقليل من شواهد الآيات التي تشتمل على المخالفة. وبذلك فقد جاءت الرسالة في بابين:

الباب الأول: القسم النظري ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول

الفصل الأول: مدخل للموضوع يتناول جوانب من أبرز ما كتب في الموضوع من آراء النحاة. وقد ترجح اختي ار ما كتبه إمام النحاة سييويه، ثم ما كتبه ابن جني لاشتمال آرائه على فوائد بلاغية تتصل بموضوعنا ويعد فيها صاحب سبق . ثم ما كتبه ابن مالك وهو يمثل مرحلة تنظيم مباحث النحو، كما احتوت مباحثه - رحمه الله - على آراء منظمة ومبوبة وفيها تعليقات تج رى في كلام البيانين، ويعد كل من هؤلاء الثلاثة الأفضاذ ممثلا لمرحلة أو لفئة من علماء النحو، فدراسة ما كتبه يمكننا من الاطلاع على جل المسائل التي تتصل بموضوعنا. وأما الفصول الثلاثة الأخرى فقد خصصتها لما تناولته كتب البلاغيين من حديث عن المخالفة في استعمال الأفعال، وهي على النحو التالي:

الفصل الثاني: التعبير بالمستقبل ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعبير بالمضارع عن الماضي.

المبحث الثاني: التعبير بالمضارع عن الأمر. وألحقت به التعبير عن الأمر بالمضارع

الفصل الثالث: التعبير بالماضي، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعبير بالماضي عن المضارع. وألحقت به التعبير باسمي الفاعل والمفعول عن المستقبل.

المبحث الثاني: التعبير بالماضي عن الأمر.

الفصل الرابع: المخالفة في استعمال الفعل المتعدي، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم.

المبحث الثاني: حذف مفعول الفعل المتعدي من اللفظ.

الباب الثاني القسم التطبيقي، وهو يعنى بمواضع المخالفة في الآيات القرآنية الكريمة، وكلام أهل العلم من مفسرين وبيانين وغيرهم عن المخالفة في الآيات. وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: التعبير بالمضارع، ويشتمل على أربعة مباحث.

المبحث الأول: استعمال المضارع على وضعه.

المبحث الثاني: التعبير بالمضارع عن الماضي

المبحث الثالث: دخول الفعل المضارع حيز "لو" الشرطية.

المبحث الثالث: التعبير بالمضارع عن الأمر.

الفصل الثاني: التعبير بالماضي، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعبير بالماضي عن المضارع

المبحث الثاني: دخول الماضي حيز حرف الشرط "إن"

المبحث الثالث: دخول الماضي حيز حرف الشرط "إذا"

المبحث الرابع: التعبير بالماضي عن الأمر.

المبحث الخامس: يلحق بهذا الفصل التعبير باسم الفاعل واسم المفعول عن المستقبل.

الفصل الثالث: المخالفة في استعمال الفعل المتعدي، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم.

المبحث الثاني: حذف مفعول الفعل المتعدي من اللفظ.

ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنيتها ما وصلت إليه من نتائج للبحث، وذيلته بفهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر والأراجيز، وثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

هذا وإني لأتقدم بالشكر الجزيل - بعد شكر الله تعالى - لجامعة أم القرى، تلك الجامعة العريقة، ولكلية اللغة العربية على وجه الخصوص، ولقسم الدراسات العليا بها، والقائمين على هذه الكلية المباركة بإذن الله . كما أشكر فضيلة شيخني القدير، وأستاذي الكريم سعادة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى. فما زال ينفق وقته وصحته في سبيل العلم وأهله ، ولا يرضن على طلبته بشيء من ذلك. وقد كان نعم الناصح المرشد، والمعلم الصادق، الذي تلمس فيه أخلاق الطراز الأول من أهل العلم والفضل، فأسأل الله أن يبارك له في عمره وعمله.

ولا أنسى فضل والديَّ الكريمين الذين لم يدخرا عني كل ما يملكانه من قول وعمل . ويغمراني بقلوبه- ما الرحيمة، وبأيدهما الكريمة . منذ عرفت الكتاب والقلم، فأسأل الله أن يمد في عمرهما، وأن يبلغهما كل ما يرضيه عنهما. أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وأن يجنبنا الخطأ والزلل، وأن يقبل عثرتنا، إنه ولي ذلك. والحمد له أولاً وآخراً.

الباحث